الفصل

4

كرسي سايم Saim المتحرك

جعل دراسة أجريت على النقل دراسة ذات معنى

دانا روث ورينيه دينرشتاين Dana Roth and Renée Dinnerstein

مدرسة (P.S. 10) مدرسة حكومية تقع في بروكلين في مدينة نيويورك، ولبناء هذه المدرسة منافذ بديلة، تسمح للأطفال وأفراد العائلات والمعلمين من ذوي الإعاقات الجسدية استخدام البناء، والمشاركة في أنشطة المدرسة. حين أجريت هذه الدراسة كان أغلبية عائلات الأطفال في المدرسة من أفراد الطبقة العاملة الذين يسكنون هذه المنطقة منذ مدة طويلة، وكذلك من المهاجرين الناطقين بلغة أمريكا الجنوبية واللغة العربية الذين وصلوا حديثًا إلى هذه المنطقة. اشتمل هذا الصف على هذه الشرائح كلها، وضم أربعة وعشرين طفلًا ومدرستين، هما: دانا روث Dana Roth وكارين بيرنز Karen Byrnes، اللتان تفاعلتا مع رينيه دينرشتاين Renee Dinnerstein المشرفة على تطوير الهيئة التدريسية.

دانا Dana: حين كنت في الجامعة أمضيت ساعات وأنا أقرأ عن الممارسات اللائقة من الناحية التطويرية، لكن خيبة الأمل جاءت حالما بدأت تدريس الطلاب، وشعرت بأن ما تعلمته عديم الجدوى، كانت صفوف رياض الأطفال في مدينة نيويورك تعج بالقراءة والكتابة والمفردات والرياضيات، ولكن أين موقع العلوم والدراسات الاجتماعية؟ أين اللعب؟ أين المعتزل؟ أين الاستقصاءات المفتوحة؟ تعاملت مع الحقيقة القائلة بأن هذا هو الواقع، وأن عليّ أن أدخل بقوة، وبإيمان كبير بعملي الجديد. حين التقيت برينيه كنت في سنتي الثالثة في التدريس بالروضة، حيث كنت أدرس صفًّا شاملًا لمختلف الشرائح، وكانت كارين Karen تشاركني تدريس هذا الصف، شعرت بالثقة بقدرتي على التدريس وتعديل المنهاج كي يلبي احتياجات طلابي جميعهم، وكنت أعرف أن غرفة صفي دافئة ومرحبة، وعملت على بناء صلة ألفة مع طلابي وعائلاتهم.

الخطوات الأولى

دانا: قدمت رينيه في أثناء كل زيارة لها اقتراحات حول البرنامج والبيئة الصفية والأعمال الروتينية، في بداية الأمر كنت في موقع الدفاع عن نفسي قليلًا؛ فقد شعرت أنها لا تفهم الطلاب الذين أدرسهم، ولا الوقت والجهد الذي كرسته لما أفعله يوميًّا، ولكني بدأت أجرب اقتراحاتها، فانطلقت إلى الأمام، في كل مرة كنت أجرب اقتراحًا واحدًا من اقتراحاتها، فرأيت أن الحياة في غرفة صفي تتغير، لقد بدأت أدرك أن صفي صار يتطور حتى أصبح مثل الصفوف التي قرأت عنها في الجامعة.

رينيه: حين زرت مدرسة (P.S. 10) دعتني المديرة إلى جولة على صفوف ما قبل الحضانة وصفوف الحضانة، سألتني المديرة عن رغبتي في العمل بتلك المراحل، وأن أدخل منهجية قائمة على الاستفسار للدراسات الاجتماعية، وكذلك مساعدة المعلمين على فهم كيفية دعم المنهاج المبني على الاستفسار للأطفال في الوصول إلى إمكاناتهم الحقيقية، لقد كنت قلقة بشأن رد فعل المدرسات على مطورة هيئة تدريسية أخرى، جاءت في وقت متأخر من السنة، ومع ذلك بدأت عملي مع المدرسات في اليوم الأخير من شهر آذار.

دانا: أبلغت مدرسات الروضة أن مطورة جديدة للهيئة التدريسية ستبدأ عملها معنا، وكان ذلك قريبًا من نهاية السنة الدراسية، حيث المراحل الأخيرة من عملنا في التدريس، وكنا قد بدأنا بالتفكير بمراسم احتفالنا المتواتر، أتذكر أنني فكرت وقلت: «والآن ماذا؟ إن يومنا المدرسي حافل بالعمل بطبيعته، كيف لنا أن ندخل شيئًا جديدًا في برنامجنا؟».

رينيه: في أول يوم عمل لي أعطيت المدرسات الحرية كي نتعرف إلى بعضنا بعضًا ونبدأ عملية التخطيط، اعتقدت أن على المدرسات أن يبنين أساسًا نظريًّا لدعم دراستهن القائمة على الاستفسار، وأن يأخذن بعين الحسبان احتياجات طلابهن العاطفية والاجتماعية والمعرفية، بدأت عملي بالطلب إلى كل مدرسة تقديم رؤيتها عن طفل عمره خمس سنوات، فخرجنا برؤية جماعية عن طفل روضة الأطفال، لقد كانت هذه مناقشة حيوية قدمت لنا شيئًا ماديًّا لنبني عليه.

تشـاركت مع المدرسـات ببعض المواد مبرزة التدريس القائم على الاسـتقصاء، مثل منهجيـة ريجيـة إيميليـا Reggio Emilia (Edwards, Gandini& Forman, 1998) ومنهجية المشـروع Project Approach التي اقترحتها ليليان كاتز، ووزعت على المدرسـات مواد حول اختبار موضوع المشروع، عند هذه النقطة رفعت المعارضة رأسها.

لدينـا تقويـم سـريع علينا التقيد به، وفي فصل الربيع سـنجري دراسـة عن النقل، ولم نسـتطع أن نجري دراسـة اسـتقصائية. في سعيي للارتباط بدراسـة النقل اقترحت أن تأخذ المدرسات الأطفال خارج الغرف الصفية في مشوار الأسبوع القادم، ويعطين كل طفل لوحًا مشبكيًّا وقلم رصاص، ويشجعنهم على رسم صور للطرق المختلفة التي يتنقل بها الناس في مجتمعهم، على الأطفال أن يمروا بموقف حافلات ومحطة لقطار الأنفاق. حين عاد الأطفال إلى الصف كان بإمكانهم أن يستعملوا مسودات رسوماتهم أساسًا لمناقشة ما رأوه، اقترحت أن تلاحظ المدرسات اهتمامات الأطفال ومعرفتهم المسبقة، وفي اجتماعنا التالي تشاركنا في الانطباعات عن هذه المرحلة الميدانية الأولى.

البدء بدراستنا الاستقصائية

دانا: بـدت فكـرة رينيه لإصلاح الزمن المختار بعناية وبدء دراسـة اسـتقصائية فكرة طاغية بالنسـبة إلينا, كيف يمكن أن نغير كل شـيء في هذه المرحلة من السنة؟ وحتى نختتم هـذه السـنة فعلينـا أن نلتـزم بخارطـة المنهاج، ومـع ذلك وافقنـا أن نبني وحدة الدراسـات الاجتماعية التالية لدينا، وأن نعمل بأفكار رينيه.

حضرت أنا وشريكتي في التدريس لأول مشوار لنا في المنطقة المجاورة، لم يكن لدينا ألواح مشبكية كافية؛ لذا جمعنا صناديق كرتونية، وقصصنا الكرتون إلى قطع كبيرة بما فيه الكفاية لإلصاق صفحة من الورق عليها، كذلك فهمنا أن الكرتون سيكون أخف وأسهل حملًا بالنسبة إلى الطلاب، ثبتنا الورق الأبيض على الألواح بشريط لاصق وانطلقنا.

شـرحنا لطلابنـا أننـا ذاهبـون في مشـوار حـول المنطقة المجـاورة لنشـاهد الأنماط المختلفـة للنقـل، كانـت لدينـا فكرة عامـة عن الطريـق الذي سنسـلكه، وكنا متأكديـن بأننا

سنمر بموقف للحافلات ومحطة لقطار الأنفاق ومكان مخصص للشاحنات، توقفنا بين مدة وأخرى كي يتحدث الطلاب عما يلاحظونه، ويرسموا ما يشاهدونه، وحين عدنا إلى غرفنا الصفية بدأنا النقاش، ودوّنا الملاحظات، وأدركنا بأن الطلاب كانوا أشد اندهاشًا حول قطارات الأنفاق الكهربائية. كان الأطفال تواقين إلى البدء في هذا المشروع، وشعرنا بأن الدراسة يمكن أن يكون لها معنى، كما شعرت أنا وشريكتي في التدريس بالسعادة، لأننا قررنا موضوع هذه الدراسة الاستقصائية.

رينيه: كانت دانا وكايرن تشتعلان دهشة وإثارة حين التقيتهما الأسبوع التالي، شعرت بأن حماسهن قد شجعني، وها هما تستعدان للبدء بعملية التخطيط، أنشأنا شبكة تخطيط استباقية، وبناءً على المناقشات الأساسية التي أجراها الأطفال مع الطلاب فكرنا بما يعرفه الأطفال من قبل، وبما يمكن أن يحبوه، وفكرنا بطريقة لاكتشاف ذلك، لقد خرجنا بأصناف عديدة مثل: العمال، ومحطات القطارات، والمعدات، وكيفية توجيه النظام، وأنواع القطارات، وأجزاء القطار،وأين تذهب قطارات الأنفاق.

حالما أرسينا هذه الأصناف أجرينا العصف الذهني، أين كانت فرص الكتابة؟ وما نوع هذه الكتابة؟ ما الرحلات الميدانية التي يمكن القيام بها؟ أي الخبراء الذين يجب إجراء المقابلات معهم؟ ما الصلات التي يمكن أن نوجدها مع الوقت المختار بعناية والرياضيات والعلوم وتجارب الفنون والموسيقى؟

بالرغم من أن الدراسة كانت تدمج الكثير من المواقف التعليمية المختلفة، إلا أن الدراسات الاجتماعية هي محط تركيزنا في عملية التخطيط التي أنجزناها، كيف يمكن لهذه الدراسة أن تؤثر في مجتمع غرفتنا الصفية؟ هل سيكون هناك فرص للأطفال ليتعاونوا ويفاوضوا؟ ما الذي سيتعلمه الأطفال عن المنطقة المجاورة؟ كيف يمكن للدراسة أن تساعد الأطفال في فهم عالمهم؟ ستبدأ هذه الدراسة بحياة الأطفال اليومية وستنطوي على تجارب مباشرة.

فكرنا بدراسة قطارات الأنفاق على ثلاث مراحل، المرحلة الأولى تقدم تجربة مشتركة للأطفال كلهم عن قطارات الأنفاق؛ فرحلة إلى محطة الأنفاق ستلهم ملاحظات الأطفال

وأسئلتهم، بعد الرحلة سيعمل الأطفال على رسوماتهم للمحطة التي بدؤوا بها في المرحلة الميدانية، وسيكون لديهم الفرصة للمشاركة الصفية، بعد ذلك ستبدأ دانا بإنشاء شبكة مع الأطفال عنوانها (ما الذي نعرفه عن قطارات الأنفاق؟)، وهذه الشبكة يمكن مراجعتها مرات عدة في أثناء إجراء الدراسة، ويستطيع الأطفال أيضًا إضافة معطيات جديدة، ومراجعة المعطيات غير الصحيحة وحذفها، والبدء بتنظيم قائمة بالتساؤلات عن هذه القطارات.

دانا: قمنا برحلة إلى محطة الأنفاق المحلية، وكنا فرحين لبدئنا بهذه العملية، ولكن -لسوء الحظ- كان أحد طلابنا وهو سايم Saim قعيد كرسي متحرك، والمحطة المحلية لا تتيح وصول المعاقين إليها، علقنا في هذه المشكلة، ولم نعرف ماذا نفعل، وتساءلنا: لمَ لم ندرك ذلك من قبل؟ وكيف لنا أن نكون فاقدي الإحساس بهذا الشكل؟ تدفقت هذه الأسئلة إلى ذهني وشعرت بالضياع.

لم يكن في وسعنا أن نفعل شيئًا إلا أن نكون صادقين، ففي المنطقة العليا من الدرجات المؤدية إلى المحطة التفتّ إلى الأطفال وقلت: «أيها الطلاب، لدينا مشكلة، هل تعرفون كيف ينزل الناس إلى رصيف محطة الأنفاق؟»، صاح الأطفال قائلين: «بالنزول على الدرج»، قلت لهم: «حسنًا، هل يستطيع الناس جميعهم أن ينزلوا على الدرج؟ هل في وسعنا جميعنا أن ننزل على هذه الدرجات؟» يدرك الأطفال من قبل أن سايم لا ينزل على الدرج معنا في المدرسة، فعند مغادرتنا البناء المدرسيي يستعمل سايم المصعد. بيّنّا للأطفال أنه لا يوجد مصعد في محطة الأنفاق هذه، هنا تأفف الصف بكامله بما فيهم سايم Saim، وبدأ الأطفال يشكون، لقد كانوا تواقين إلى استكشاف محطة الأنفاق، سألنا إن كان أي منهم لديه فكرة لحل هذه المشكلة، فقال بعضهم: «دعونا نحمل سايم وننزله على الدرج»،وقال آخرون:«دعنا نجد مصعدًا»، تميز رد فعل سايم Saim على كل مقترح بنبرة عالية، حيث كان يقول «نعم».

أعطينا الأطفال وقتًا كي يتحدثوا عن هذه المشكلة بصوت عال، في حين ناقشت أنا وكايرن ماذا سنفعل في هذا الظرف، درسنا إمكانية حمل سايم وإنزاله على الدرج، بالرغم من أن هذا الأمر صعب وأنه حل مؤقت، فكرنا بإبقاء مرافق سايم إلى جانبه وننزل بقية الصف إلى المحطة، ولكن هذا سيكون مثالًا سلبيًّا نقدمه، فقد عملنا بجد طوال السنة كي

نبني مجتمعًا لا يستثني أحدًا. وخلاصة القول، فلم يكن بوسعنا أن نبعد سايم. عند هذه النقطة لم يكن لدينا الكثير ما نفعله، فقررنا أن نعود أدراجنا إلى المدرسة، وفي أثناء العودة إلى المدرسة تحدث الأطفال، وتشاركوا في قصص عن أناس يستعملون الكراسي المتحركة كانوا قد رأوهم أو عرفوهم.

بعد انتهاء الدوام المدرسي، أعدت أنا وشريكتي في الصف تقييم الموقف، ودرسنا إمكانية تحويل دراستنا لتكون حول مشروع حافلة، بالرغم من إدراكنا أن الأطفال استمروا في طرح أسئلة حول كرسي سايم المتحرك. حين تشاركنا بخطتنا مع رينيه اقترحت علينا أن ندير محادثة صفية عما حدث، وأن نستمع إلى كيفية رد فعل الطلاب بدلًا من تقديم موضوع جديد للدراسة، لم نكن متأكدتين من إمكانية نجاح هذه الخطة، وشعرنا بأننا لسنا جاهزتين للاتجاه الذي ستمضي إليه هذه المحادثة؛ فهذا النشاط يعد مجالًا جديدًا.

رينيه: استوعبت مأزق المدرستين، بيد أنه لم يكن من الصواب بالنسبة إليهما تغيير الاتجاه بسرعة وإعادة توجيه الدراسة لتصبح دراسة على الحافلات، لم لا نرى ما هو تفكير الأطفال حول هذا الأمر؟ وماذا يمكن أن تكون الحلول التي سيقدمونها؟ اقترحت أن تناقشا هذا الأمر في اجتماع صفّيّ، وأن تريا ما الحلول التي يمكن أن يخرج بها الأطفال.

إن إشراك الأطفال في هذا النشاط يثبت عندهم أن أفكارهم مهمة وذات قيمة، كما يعطيهم إحساسًا بملكية الدراسة بطريقة لا يمكن أن تحدث لو أن المدرستين اتخذتا القرارات بأنفسهما. كان هذا الأمر جديدًا بالنسبة إلى دانا وكايرن، لكنهما أخبرتاني بأنهما ترغبان في تجريب ذلك، وأنهما ستطرحان ذلك في اجتماع صفيّ.

تغيير الموضوع

دانا: خططت أنا وكارين هذا اللقاء مع الطلاب، وكان يسيطر علينا شعور بالشك، لم نكن متأكدتين من تقبّل طلابنا هذا الأمر، ومن استعدادنا للإجابة على أسئلتهم عن سايم أو إن كان هو مستعد لكل هذه العناية، أدركنا أن محادثتنا الأولى يجب أن تكون مع سايم

لقياس مستوى ارتياحه لهذا الأمر، فأكد لنا سايم سعادته بأن يناقش هذا المأزق أمام الصف، لقد كان في واقع الحال مندهشًا أيّما اندهاش.

بدأنا مناقشتنا، وأعجبنا بما قاله طلابنا، لقد فهموا لماذا لم نستطع النزول إلى محطة أنفاق القطارات، وتساءلوا لماذا لم تُبنَ المحطة بطريقة تمكّن كل الناس من استعمال قطار الأنفاق، اتفقنا جميعنا بأن ما هو موجود غير منصف، استمر الطلاب في طرح أسئلة عن كرسي سايم المتحرك وسيلته في التنقل، وبذلك بدأنا بدراسة الكرسي المتحرك، أدركنا بأن موضوعنا هو دراسة طريقة تنقل الأشخاص الذين يستعملون الكرسي المتحرك في المدينة.

رينيه: كان هذا الاستقصاء يمثل ميدانًا جديدًا بالنسبة إلى المدرستين وإليّ شخصيًا، وكان ينطوي على إمكانية إفادة الطلاب جميعهم في صف دانا وكارين. وفي نهاية المطاف كان هذا هدف البرامج الشاملة جميعها، وهو إعطاء فرص للأطفال الذين لا يعانون من إعاقات كي يتعلموا وجهات نظر واقعية ودقيقة عن أفراد ذوي حاجات خاصة، ويطوروا مواقف إيجابية تجاه أناس مختلفين عنهم، ويتعلموا السلوك الإيثاري. عن طريق هذه الدراسة سيبني الأطفال مجتمعًا متزاحمًا، وكم ستكون الإثارة كبيرة بالنسبة إلينا حين نكون جزءًا منه.

كانت دانا وكارين تحتاجان النصيحة حول كيفية بناء دراسة عن الكرسي المتحرك، فاقترحت عليهما البدء بشبكة المعطيات التي يعرفها الأطفال عن الكراسي المتحركة، وسيتوصل الأطفال إلى وضع البطاقات التعريفية على كل مجموعة، وهذا سيعطي الأطفال مزيدًا من القدرة على التحكم في المشروع.

تنفيذ دراسة الكرسي المتحرك

دانا: أردنا أن نحدد المعرفة المسبقة التي يمتلكها طلابنا، وأن نعرف كذلك إن كان لديهم إحساس باهتماماتهم، فوثقنا التعليقات والأسئلة، ونظمها الصف أصنافًا ثبتت على جدول بيانيّ لكرسي متحرك، من هذه الأسئلة: ما الذي نعرفه؟ وعمّ نتساءل؟

(الشكل 4.1): رسم أحد الأطفال لكرسي سايم المتحرك

عمل الطلاب مع بعضهم بعضًا ليفهموا أي الإعلانات يمكن ضمها مع بعضها بعضًا، وبعد نقاشات كثيرة خلصنا إلى أصناف تشتمل على كيفية صنع الكراسي المتحركة، والناس الذين يستعملون الكراسي المتحركة، وكيف يتنقلون بها من مكان إلى آخر.

انطلقت الدراسة، وانطلق حماس سايم لممارسة دوره المحوري، ولإجراء أول استقصاء لدينا جلس الصف على صورة دائرة في مكان الاجتماع، وجلس سايم في المنتصف، وكان مع كل طفل دفتر رسم، وقلم رصاص، ورسم سايم وكرسيه المتحرك، (انظر الشكل 4.1). واجه الأطفال تحدي النظر بإمعان وملاحظة التفاصيل، فهموا من الدروس السابقة أن الرسم القائم على الملاحظة يتم حين تنظر إلى شيء عن كثب، وترسم كل شيء تراه. أعجبنا كثيرًا تركيز الطلاب على التفاصيل، وبينما كان الطلاب يكملون رسوماتهم رسم سايم نفسه.

كيف يصل سايم إلى المدرسة؟

دانا: بدأنا بالاستماع إلى أسئلة الأطفال عن الكراسي المتحركة، كان أحد الأسئلة «كيف تصعد الكراسي المتحركة إلى الحافلة؟»، كل واحد منهم كان يعرف بأن سايم يأتي إلى المدرسة ويعود إلى البيت بحافلة المدرسة، وأيضًا يعرفون أن ركوب حافلة المدرسة

يتطلب صعود بضع درجات، وأدركوا أن هذا الإجراء لا ينطبق على سايم. بيّن الأطفال أيضًا أن ممشى حافلة المدرسة ضيق جدًّا و لا يتسع لكرسي متحرك، هنا قررت أن يراقب الأطفال سايم حين يصعد إلى حافلة المدرسة في نهاية اليوم المدرسي.

(**الشكل 4.2**): راقب الأطفال الحدث، بينما كان سايم يستقل الحافلة. أحد الأطفال قال: «الرافعة تشبه المصعد».

عند الساعة الثانية وأربعين دقيقة بعد الظهر، وبينما كان سايم يصعد إلى حافلة المدرسة، وقف أطفال الصف في الشارع يشاهدون الحدث، راقب الطلاب الأمر بينما كان سائق الحافلة ومشرفها يفتحان بابًا خاصًّا، وينزلان منصة، ويدفعان بسايم وكرسيه المتحرك على رافعة، ثم يديران مفتاحًا لتصعد الرافعة إلى الأعلى (انظر الشكل 4.2). قال أحد الأطفال: «الرافعة تشبه المصعد». راقبنا الأمر حين كان كرسي سايم المتحرك يدفع ليصل إلى مكانه المخصص، ويحزّم سايم بأمان.

لاحظ الأطفال طفلين آخرين من صفنا يصعدان إلى حافلة سايم ولكنهما استعملا الدرجات، شاهدنا حافلة أخرى تُشبه الحافلة التي ركبها سايم تمامًا، وكانت هذه الحافلة أيضًا مزودة برافعة، كان واحد من طلابي السابقين يدعى ماني Manni يركب الحافلة الأخرى ولم يكن يجلس على كرسي متحرك، وإنما كان يستخدم جهاز المشي (الووكر). كم كان الأمر مثيرًا للاهتمام، استنتج الأطفال أن الحافلة المزودة بمصعد ليست مخصصة

للناس الذين يستخدمون الكراسي المتحركة فقط، بل يمكن أن يستخدمها أناس يحتاجون مساعدة باستخدام مصعد، أو غيرهم.

أشعلت هذه الملاحظات حب الفضول عند الأطفال، فأصبح لديهم الآن أسئلة كثيرة عن ماني وجهاز المشي الذي يستخدمه، وأصبح لديهم أيضًا نظريات حول الكرسي المتحرك الأبيض في المربع الأزرق.

مقابلة ماني
الصف: كيف تستخدم هيكل المشي هذا؟
ماني: أمسك بالأشياء الحمراء اللون ومن ثم أمشي.
الصف: كيف تخرج من هيكل المشي؟
ماني: فقط تترك الأشياء الحمراء اللون وتخرج.
الصف: هل تضطر إلى استخدام كرسي متحرك؟
ماني: كلا... ولكن عندما كنت صغيرًا استعملت كرسيًا متحركًا أما الآن فإنني استخدم جهاز المشي.
الصف: هل تستطيع أن تستخدم هيكل المشي بيد واحدة؟
ماني: نعم أستطيع الوقوف باستخدام يد واحدة.
الصف: هل ساقك مكسورة؟
ماني: كلا.
الصف: كيف تنزل من الحافلة؟
ماني: الأمر سهل. بالطريقة نفسها التي أصعد بها إلى الحافلة.
الصف: هل تستطيع المشي بدون هيكل المشي؟
ماني: نعم أستطيع المشي بدونه.. انظروا إلي..
الصف: هل أخذت دروس للتعلم على استخدام هيكل المشي؟
ماني: من هذا القبيل... ساعدني المشرفون على علاجي... هل تريدون أن تجربوا؟

يوم آخر: اللقاء بماني

بما أن ماني الطفل في المرحلة الرابعة كان منطلقًا وبدا أنه يستمتع بانتباه الأطفال الصغار إليه، فقد دعوناه إلى غرفة صفنا لإجراء مقابلة معه. كان عند الأطفال أسئلة كثيرة

يوجهونهـا إلـى ماني بعضها حُضّر قبل الزيـارة، وبعضها الآخر انبثق بعفوية في أثناء اللقاء، وأجاب ماني عن الأسئلة بشيء من روح الدعابة، بعد ذلك دعا ماني الصف إلى ممر القاعة كي يجرب الأطفال هيكل المشي.

رينيه: كانت دراسة الكرسي المتحرك تسير بتقدم، تحدثت إلى دانا وكارين حول إعادة ترتيب الغرفة ليحصل الأطفال على استقلالية أكبر في الوصول إلى المواد، وأخرجنا مركز المكعبـات من طريق المرور لنوفر للأطفال مسـاحة أكبر للبناء، وكان لهذا الترتيب الجديد للغرفة نتيجة إيجابية؛ فالآن أصبح هناك مكان متسـع في منطقة المكعبات لمشـروعات بناء كبيـرة، مركـز الفنـون مليئ بالمواد، ما سـهل على الأطفال الوصول إلـى المواد وحدهم دون مساعدة، في زيارتي الثانية إلى غرفة الصف كانت الغرفة تعج بالنشاط، وكان التعاون الذي حدث في مركز المكعبات مثيرًا للإعجاب على نحو خاص.

مراكز غرفة الصف

دانـا: لدينـا هنـا بعض المراكز التـي أقيمت ليختار الطـلاب في أثناء الوقت المختار بعناية.

ما هو لاقط التفاصيل
لاقط التفاصيل قطعة من ورقة دراسة بها ثقب في المنتصف. تستطيع أن تصنع لواقط تفاصيل ذات ثقوب صغيرة وثقوب متوسـطة وثقوب كبيرة. يهدف هذا اللاقط إلى تشـجيع الطلاب على الاقتراب بسـرعة من تفاصيل محددة والتركيز على أمر واحد في كل مرة.

مركـز الملاحظـة: سـألنا القيمين إن كان هناك كراسـي متحركـة إضافية في البناء، فأخرج القيمون -الذين أثارت دراستنا اهتمامهم- كرسيًّا متحركًا قديمًا من القبو ونظفوه، افتتحنـا مركـزًا جديدًا يدعى مركـز الملاحظات، يهدف إلى إفسـاح الوقت للطلاب لإلقاء نظرة -عن كثب- على كرسي متحرك، وبمرور الوقت أضفنا شريط قياس، وعدسات مكبرة، وورقًـا، ومقصـات، وأدوات كتابة، ولواقـط التفاصيل، صنعنا لواقط التفاصيل هذه لتشـجيع الأطفال على الاقتراب من الموضوع بسرعة والتركيز على ملاحظاتهم.

بحث براندون Brandon في مقابض الكرسي المتحرك، واستخدم شريط القياس ليكتشف كم طولها، وسجل نتائج عمله، واستنتج براندون أن شكل المقبض جعل عمل الشخص الذي يدفع الكرسي المتحرك عملًا مريحًا. أما جامي Jamie فقد كان عنده حب فضول بشأن كوابح الكرسي المتحرك، واستخدم عدسة مكبرة ليرى كل التفاصيل عن كيفية عمل الكوابح.

تساءل الطلاب كيف يبدو الأمر لو أنهم قضوا وقتًا في الكرسي المتحرك، فقد أرادوا أن يعرفوا إن كان الأمر سهلًا أو صعبًا، سمحنا لكل طفل بقضاء يوم في الكرسي المتحرك، فكان لهذه التجربة تأثيرًا قويًّا على تطوير الأطفال للتقمص العاطفي، كان الأطفال يتذكرون دفع كراسيهم المتحركة إلى الداخل، وذلك لجعل الحركة حول الغرفة أكثر سهولة، ولتقديم المقترحات لإعادة ترتيب أجزاء من غرفتنا، لقد أرادوا أن يصبح وصول سايم Saim إلى غرفة صفنا ممكنًا، وكذلك أي شخص آخر يدخل إلى غرفتنا بكرسي متحرك.

مركز المكعبات: انبهر الطلاب انبهارًا كبيرًا بالأشياء المرتبطة بالكراسي المتحركة، وقد أضيفت إلى مركز المكعبات مواد مثل: الشريط، وبطاقات الملاحظات، وبطاقات الفهرس، وأشرطة الجمل، والمقص، والورق، وأقلام التخطيط، وغير ذلك. كان لا بد أن يصبح مركز المكعبات أكبر ليستوعب هياكل المكعبات. بنى الطلاب كراسي متحركة، وسلالم صعود، ومصاعد، وحافلات، وغيرها. (انظر الشكل 4.3).

اتباع رموز الكرسي المتحرك

دانا: حين أخذ صفنا يتعلم المزيد عن الكراسي المتحركة وكيفية عملها، ظهر سؤال جديد على السطح: هل يمكن للكرسي المتحرك دخول مدرستنا؟ هنا قررنا أن نكتشف ذلك بالتجول حول البناء، بدأنا بالسير خارج بنائنا المدرسي حيث المدخل الرئيس الذي يدخل منه معظم الأطفال، أدرك الأطفال بسرعة أن سايم لا يستطيع استعمال المدخل الرئيس، بسبب وجود درجات كثيرة. أصبح الأطفال الآن يتحرون نقاط النفاذ، كان سايم يتعلم نقاط النفاذ للكرسي المتحرك مع بقية الصف، ولم يكن يدرك أن المداخل الأخرى كانت غير

نافذة بالنسبة إليه، لأنه كان يُدفع وهو في كرسيه، وفي حقيقة الأمر لم تسنح له فرصة قط لاستكشاف المدرسة، وجد الأطفال علامة الكرسي المتحرك الزرقاء والبيضاء نفسها التي رأوها على الحافلة المزودة بمصعد، وكان بها سهم يشير إلى اليمين، فتبعنا السهم، واستمررنا في تتبعه، حتى وصلنا إلى علامة كرسي متحرك زرقاء وبيضاء من دون سهم، هنا لاحظ الطلاب أن هذا أول مدخل ليس فيه درجات، إن هذا هو المدخل الذي باستطاعة سايم أن يستخدمه، إنه مدخل الكرسي المتحرك الذي يوصله إلى مدرسة (P.S. 10)، بدأ الأطفال يفهمون أن الإشارة ذات اللون الأزرق والأبيض التي رأوها تعني (مدخل يسمح بدخول الكرسي المتحرك).

(**الشكل 4.3**): بنى أحد الأطفال كرسيًّا متحركًا مستخدمًا مواد عديدة. البطاقة التعريفية تقول: «راحة الذراع». بنى أطفال آخرون سلالم صعود ومصاعد وباصات.

رينيه: رافقت الصف في جولتهم خارج البناء لتفحص نقطة نفاذ الكرسي المتحرك، الأطفال مستعدون جيدًا، ومع كل واحد منهم لوح مشبكي، وورقة، وقلم رصاص؛ لتسجيل الملاحظات، شدني موقف الأطفال الجدّيّ، وإحساسهم العالي بالمغامرة، لقد بدوا وكأنهم يدركون أن لديهم رسالة في هذا المشوار، وبالرغم من أن هناك ثرثرة لكنهم بقوا مركزين.

سمعت الأطفال يسألون بعضهم بعضًا عن كيفية دخول سايم إلى البناء، إنهم فضوليون حقًّا، كنت معهم حين وصلوا إلى شعار الكرسي المتحرك والسهم، كان يمكن أن يحدث هذا الاكتشاف بعض الآثار الفوضوية، لكن دانا قفزت في الوقت المناسب وقالت: «أتساءل ما

الذي يمكن أن يعنيه هذا؟ دعونا نتفحص الأمر». قادت دانا الأطفال في الاتجاه الذي يشير إليه السهم، حتى وصلوا سلم الصعود عند مدخل الكرسي المتحرك، وثب الأطفال منفعلين حين رأوا سلم الصعود، وبالرغم من أن هذه الجولة الميدانية شملت مشوارًا حول البناء، إلا أنها كانت تنطوي على معنى كبير للغاية، إن الأطفال يتعلمون قراءة الإشارات في محيطهم ويفهمونها، ويفهمون كذلك أهمية هذه الرموز بالنسبة إلى الناس الذين يستعملون الكراسي المتحركة.

دانا: أشعل هذا الاكتشاف حب فضول جديد حول نقاط النفاذ الداخلية، وأصبحت الأسئلة التي تدور حول نقاط النفاذ لسايم أمرًا روتينيًّا في المناقشات بين الطلاب، فحين كنا نصطف للغداء أو الذهاب إلى صف مادة تخصصية، فإن الأطفال يتحدثون حول فكرتهم عن كيفية وصول سايم إلى هناك.

وقبل الشروع في هذا المشروع عدّ الأطفال أن من المسلّم به ظهور سايم بصورة سحرية أينما كان صفنا، لم ينتبه الأطفال إلى كيفية وصوله، فهو كان هناك، وهذا كل ما في الأمر، أما الآن فقد بدأ الأطفال يضعون خطة لسايم، ويقترحون على مرافقته -أحيانًا- طريقة لإيصاله إلى المكان الذي يريد.

بدأ الأطفال يلاحظون وسائل الراحة المادية التي جعلت مدرستنا قابلة للوصول إليها، هناك مصعد للناس الذين لا يستطيعون استعمال الدرج، وهناك مدخلان لمنطقة الجمباز على أحد الجوانب، وثمة درج، وعلى الجانب الآخر مصعد لمساعدة سايم في الصعود إلى المسرح، لقد دخلت هذه الملاحظات كلها إلى أحاديثنا من يوم إلى آخر.

رأيت أنا وكارين أن هذه الدراسة غنية، فالطلاب منفعلون وتواقون جدًّا إلى التعلم والتشارك بمعرفتهم، لقد وجدنا إمكانات لا حدود لها، ولم يكن لدينا -لسوء الحظ- الوقت لاستكشاف حتى قسم صغير مما خططنا له؛ لأن هذا العمل بدأ متأخرًا جدًّا في فصل الربيع، لقد كان عملنا محصورًا برحلات المشي، وقد فات الأوان على حجز رحلات الحافلات. كنا نهدف أن نعرّض الأطفال لأكثر من ذلك بكثير، بما فيه المنازل الخالية من الحواجز، والملاعب الخالية من الحواجز.

تتويج دراستنا

دانا: قررنا أن الصف بحاجة إلى الخروج بخطة لتتويج دراستنا حول الكرسي المتحرك، ولأن المشروع أحدث غمغمة بين العائلات التي أخبرتنا أن الأطفال يتحدثون عن هذه الدراسة في البيت، فقد سألنا الأطفال إن كانوا يرغبون بدعوة عائلاتهم للاحتفال بهذه الدراسة أم لا، اقترح أحد الأطفال أن نخرج فيلمًا عن الكراسي المتحركة، فأخبرت الصف عن برنامج العرض التقديميّ Power Point وهو طريقة أخرى لتقديم الصور والقصة، فتشت إحدى مجموعات الأطفال مجموعة الصور الفوتوغرافية، واختارت أفضل الصور لسرد قصة دراستنا للكرسي المتحرك، وفي أثناء الوقت المختار بعناية وجّه بعض الأطفال الدعوات، في حين صنع آخرون الكعك المحلى، بعدها أتى اليوم الكبير، حيث قدم الآباء والأقارب الصغار وحتى الأجداد إلى الاحتفال الرائع بدراستنا حول الكرسي المتحرك.

رينيه: سررت جدًّا بالتطور المهني لدانا بالقدر نفسه باهتمامي في ملاحظة انخراط أطفال الروضة في دراسة الكرسي المتحرك، فغالبًا ما نشير إلى رغبتنا بأن يصبح الأطفال أطفالًا مغامرين، ولقد لاحظت أن دانا أصبحت أكثر ثقة بنفسها نتيجة لهذه الدراسة، لقد أصبحت مغامرة في عملها مع الأطفال.

دانا: لقد غيرت هذه التجربة طريقة تدريسي، فدوري كمدرسة ليس الدور الذي كنت ألعبه في سنواتي الأولى، علمتني هذه الدراسة أن أشجع الطلاب على تولي المسؤولية عن تعلمهم، ونتيجة لذلك أصبح طلابي أكثر استقلالية، ومتعلمين يوجهون أنفسهم بأنفسهم، إنهم الآن تواقون إلى طرح الأسئلة، وإجراء الأبحاث، ليكتشفوا ما يريدون معرفته، إنهم لا يعتمدون عليّ في أن أكون المزودة الوحيدة لهم بالمعطيات. إن فكرة الحفر أعمق وأعمق متضمنة في كل شيء يفعله الأطفال، وهذا يشكل دليلًا إضافيًّا على قيمة التعلم المبني على الاستقصاء والاستفسار. والآن حين أتحدث عن طلابي وأراقب صفي أبتسم، لأنني أعرف أن متعة التعلم عادت إلى روضة الأطفال التي أدرس بها.

تعليقات المحررين

هذه القصة ليس قصة دراسة أطفال -كما تلحظ رينيه- فحسب، بل إنها أيضًا قصة تطور مدرسة. إن وجود رينيه كمطورة للهيئة التدريسية يشجع دانا على المخاطرة بتجريب شيء، يعد جديدًا بالكامل بالنسبة إليها، حيث سألت الأطفال عما يفكرون به بشأن مشكلة ما، وأصغت إلى ما يقولونه. تطلق المناقشة الصفية عملية تغير في طريقة دانا بالتدريس، لتصل إلى نوع من التدريس يستند إلى الثقة، نلاحظ أن دانا قد اطلعت على منهجية التدريس المرتكزة على الطالب في الجامعة، بالرغم من عدم إتاحة الفرصة لها لتطبيق هذه المنهجية في صفها.

نريد أيضًا أن نبين أن الرحلات التي أقيمت لتدعم الدراسة كانت قريبة من المكان، فالصف يذهب لرؤية الحافلة المزودة بمصعد خارج المدرسة تمامًا، كما يتجول الأطفال في داخل البناء المدرسي ليتعلموا كيفية توفير المدرسة وسائل الوصول إليها، ويخرجون خارج المدرسة ليتتبعوا الإشارات المؤدية إلى مدخل نفاذ الكرسي المتحرك، هذا يعني أن الموضوع الذي اختاروا دراسته موضوع كان أمامهم تمامًا. هنا نستنتج أن أطفال رياض الأطفال يستفيدون من الدراسات التي تجري بالقرب منهم وتكون في متناول اليد، وهذا يتوقف على معنى الموضوع بالنسبة إليهم، وكذلك على كيفية إجراء الدراسة.

إن النقطة المهمة الأخرى المتعلقة بهذه الدراسة هي دمجها النواحي المعرفية بالعاطفية، ذلك أن سعي الأطفال للحصول على معطيات حول النقل بالكرسي المتحرك لا ينفصل عن تطورهم في مجال التقمص العاطفي. إن رغبة الأطفال في قضاء يوم في الكرسي المتحرك مثال على كيفية الدعم المتبادل لهذين النوعين من المعرفة.